

البنى التركيبية ودلالاتها في قصيدة (نور الوجود) لسعد مردّف الجزائري

The Syntactic Structures and Their Significance in the Poem (Nour El-Woujoud / Light of Existence) by Saad Mereddef Al-Jazairi



د البشير عباية *

جامعة الوادي (الجزائر)

ababba-bachir@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2025/08/28 تاريخ القبول: 2025/11/22 تاريخ النشر: 2025/12/16



ملخص:

تتناول هذه الدراسة البنى التركيبية ودلالاتها في قصيدة (نور الوجود) لسعد مردّف الجزائري، التي عبّر فيها الشاعر عن محبّته للرسول ﷺ من خلال ذكر مناقبه، وقد وظّف فيها تراكيب عديدة ومتنوّعة كان لها تأثير كبير في المعنى العام لقصيدته؛ فأكثر من بعضها وأضاف قيودا تركيبية إليها، وتمّ التركيز على أزمنة محدّدة لمناسبتها موضوع القصيدة والغرض من تأليفها، إضافة إلى لجوء الشاعر إلى تقديم عناصر أصلها التأخير، أوحذف عناصر أصلها الذكر؛ ما عدّل الكثير من البنى الجُمليّة المشكّلة لقصيدته الأمر الذي أثّر دلالاتها وجعلها تؤدي أغراضا عديدة ومتنوّعة.

الكلمات المفتاحية: البنية؛ التركيب؛ شِعْر؛ نور الوجود؛ مردّف.

Abstract:

This study examines the syntactic structures and their meanings in the poem “Light of Existence” by Saad Mereddef Al-Jazairi, in which the poet expressed his love for the Prophet (peace be upon him) through the mention of his virtues. The poet employed numerous and diverse syntactic constructions that had a significant impact on the overall

* المؤلف المراسل

meaning of his poem; he frequently used certain structures, added syntactic constraints to them, and focused on specific tenses appropriate to the poem's theme and purpose. In addition, the poet resorted to foregrounding elements that are normally delayed, or omitting elements that are usually mentioned; this altered many of the sentence structures forming his poem, enriching their meanings and enabling them to serve multiple and diverse purposes.

key words: Structure; Syntax; Poetry; Light of Existence; Mereddef.

مقدمة:

تعدّ دراسة بنية التراكيب للنصوص مدخلا تحليليًا يساعد على الكشف عن المعاني المختلفة، وتبرز أهميتها في الخطابات والنصوص الإبداعية خاصّة الشعر، الذي يلجأ فيه الشعراء إلى الخروج عن أنماط التركيب المألوفة؛ فيوظّفون مهاراتهم المختلفة في ذلك، لذا فتحليل البنية التركيبية للنص الشعري تكشف أسرارها وتبيّن الرسالة التي يسعى الشاعر إلى إيصالها، ويختلف الأمر في هذا من شاعر إلى آخر، ونظرا لبروز الشاعر سعد مردف¹ كأديب جزائري معاصر له العديد من المؤلفات والدواوين الشعرية، فقد تمّ اختيار إحدى قصائده مجالا للدراسة تمثّلت في قصيدة (نور الوجود)²؛ نظرا لموضوعها وتوظيف الشاعر فيها العديد من البنى التركيبية المختلفة، لذا تسعى هذه الدراسة إلى اكتشاف البنى التركيبية في القصيدة والتعرّف على دلالاتها؛ من خلال دراسة طبيعة التراكيب التي تتشكّل منها القصيدة، وتبيين مواضع العدول التركيبي من تقديم وتأخير وحذف لبعض عناصرها، فما هي أهمّ مظاهر البنى التركيبية في القصيدة؟ وإلى أيّ مدى أثّر تنوّعها على دلالاتها؟ وهذا ما سيبيّنه هذا البحث.

أولا: طبيعة التراكيب:

قسّم الباحثون الجمل لعدّة اعتبارات أهمها: بحسب صدارة المسند والمُسند إليه؛ فقسّمت إلى فعلية واسمية، وبحسب الإثبات والنفي؛ فقسّمت إلى مثبتة ومنفية، وبحسب دلالاتها فقسّمت إلى خبرية وإنشائية³، وفي ما يلي بيان ذلك:

1- الجمل الفعلية والاسمية: الجملة الفعلية هي التي تبدأ في الأصل بفعل تامّ، سواء أكان مبنيًا للمجهول أم مبنيًا للمعلوم، وسواء أكان متعديًا أم لازماً⁴، أمّا الجملة الاسمية فهي التي تبدأ باسم في الأصل؛ أي يكون مسنداً إليه⁵، وقد تنوّعت الجمل الواردة في قصيدة (نور الوجود) بين الفعلية والاسمية، وإن كانت الغلبة للنوع الأوّل، كما هو موضّح في ما يلي:

أ- الجمل الفعلية: الفعل أساس التركيب في هذا النوع من الجمل⁶، فالفعل والفاعل عُندتا الجملة الفعلية، وما سواهما فضلة في عُرْف النحاة، وفي هذا يقول ابن جني: "ألا ترى أنّ الفضلات كثيرة كالمفعول به والظرف والمفعول له والمفعول معه والمصدر والحال والتمييز والاستثناء"⁷، وليس المقصود بالفضلة أنه يمكن الاستغناء عنها في المعنى، بل المقصود أنه قد يتألّف الكلام من دونها⁸، نحو قولنا: (قام زيد)، فالجملة تامة المعنى مكثّفة بالفعل والفاعل، لذا فكلّ ما يُزاد فضلة من هذا المنظور، وقد سمّاها الباحثون قيّداً أيضاً؛ لتقييد معنى الجملة وتخصيصه، فتكون المفاعيل مثلاً تقييداً للإنسان الفعلي وتخصيصاً له في الزمان أو المكان أو الكيفية أو غيرها⁹، وهذا ما نلاحظه في قصيدة (نور الوجود) لسعد مردف الجزائري الذي وظّف فيها أكثر من خمسين جملة فعلية اشتملت أغلبها على قِيُود، وقد نوع فيها بين الفعل اللازم والمتعدّي، والفعل الماضي والمضارع، كما هو موضّح في ما يلي:

(1-) الجمل ذات الفعل اللازم والفعل المتعدّي: من صور الجمل ذات الأفعال اللازمة التي وردت في القصيدة ما يلي :

- فعل + فاعل + جار ومجرور

وهذا مثل قول الشاعر¹⁰:

نحو تبرك الإنسان لما تجاوز في الضلالة بالعبيد

- فعل + فاعل + مفعول فيه + جار ومجرور.

وهذا مثل قول الشاعر¹¹:

وَأَثَرَتِ الْأَلَى وَرَثُوا هُدَاهُمْ وَجَاؤُوا بَعْدَهُمْ بِيَدِ السَّعُودِ

في هذين المثالين وظّف الشاعر أفعالا لازمة (نجوت، تهاوى، جاؤوا) وكلّها تركّز على الفاعل الذي قام بالفعل، فالفعل الأوّل ركّز على رسول الله ﷺ بصفته الفاعل، ولكنّ معنى النجاة عامّ لو تمّ الاكتفاء به، فلمّا ذكر الشاعر الجارّ والمجرور (بمركب الإنسان) تمّ تقييده بوسيلة النجاة، ممّا أعطى معنى آخر لهذه الجملة، والأمر نفسه مع الفعل (تهاوى) الذي يعود على الإنسان، ولكنه لا يبيّن طبيعة التهاوي أو السقوط¹²، فالجار والمجرور بيّن ذلك وقيد المعنى في الضلالة، وأما المثال الأخير فدلالة الفعل والفاعل (جاؤوا) تعني المجيء فقط، فلمّا أضيف المفعول فيه (بعدهم) قيّد المعنى بالزمان، والجار والمجرور ربطه بالحظّ الحسن السعيد.

وأما الجمل ذات الأفعال المتعدّية فكانت أكثر من سابقتها، ولها صور عديدة منها:

- فعل + فاعل + مفعول به + مفعول مطلق.

وهذا مثل قول الشاعر¹³:

أَحَبُّكَ حُبِّ ذِي فَضْلٍ وَجُودٍ وَحُبُّ النَّفْسِ لِلخَلْقِ الْحَمِيدِ

- فعل + فاعل + مفعول به + جارّ ومجرور.

وهذا مثل قول الشاعر¹⁴:

وَحُبُّ الْمُؤْمِنِينَ لِمَنْ هَدَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالِدِينِ الْمَجِيدِ

- فعل + فاعل + مفعول به + جار ومجرور + تمييز.

وهذا مثل قول الشاعر¹⁵:

وَعَرَّفَنِي عَلَى شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ دِينًا وَبِالْقُرْآنِ وَالشَّرْعِ السَّدِيدِ

فالملاحظ أنّ هذه الأمثلة أعطت ثلاثة نماذج لجمل ذات أفعال متعدية إلى مفعول به واحد: (أَحَبُّكَ، هَدَاهُمْ، عَرَّفَنِي)، ففي المثال الأوّل أضاف الشاعر مصدر

الفعل مضافا إلى ما بعده، والغرض منه التوكيد وتبيين طبيعة هذا الحب، وأمّا المثال الثاني فأضاف الجارّ والمجرور (إلى التوحيد) إلى بناء الجملة ليبين وجهة الهداية وطبيعتها، وأمّا المثال الثالث فقد أضاف الشاعر إلى التركيب المذكور الجارّ والمجرور ليقيد ماهية الشيء المعرّف، كما أضاف كلمة (دينا) ليميز طبيعته عن الأشياء الأخرى.

(2) - أنواع الأفعال في الجمل الفعلية: نوع الشاعر في استخدامه الجمل الفعلية بين توظيف الفعل الماضي والمضارع، مع ملاحظة غياب فعل الأمر في القصيدة؛ تأدبا من الشاعر وتعظيما للرسول ﷺ، لأنّه في مقام مدح خالص، عبّر عن خلاله عن شعوره اتجاهه دون انتظار مقابل منه، وقد كان نصيب الفعل الماضي في هذا النوع من الجمل خمسا وثلاثين مرة، هي: (هَدَاهُمْ، صَلَّى، صَلَّى، سَلَّمَ، سَرَى، بَسَطَتْ، أَفْضَتْ، نَجَّوَتْ، تَهَاوَى، أَرْسَلَكَ، سَرَى، ارْتَفَقَتْ، حُزَّتْ، أَجْزَلَ، سَمَوَتْ، آدَى، عَادَى، دَاهَنْتَ، أَقَمْتُ، أَجْزَلْتُ، حَبَوْتُ، آثَرْتُ، وَرَثُوا، جَاؤُوا، مَحَضَّتْهُمْ، سَكَنْتَ، عَقَدْتُ، ذَابَتْ، وَدَّ، عَرَفْتُكَ، رَأَيْتُكَ، بَنَانِي، عَرَفَنِي، عَرَفَنِي، دَعَا)؛ لأنّ الشاعر كان يستحضر بعض مآثر الرسول ﷺ ويسرد أحداثا حدثت في الماضي، وهذا تأكيد للنبوة ولحبّه الكبير له، لذا غلب استعمال الماضي لمناسبته هذا المقام.

أما توظيف الفعل المضارع في القصيدة فكان ست عشرة مرة هي: (أَحْبَبَكَ، أُحِبُّكَ، أُحِبُّكَ، يَعِزُّكَ، يَصْرِفُكَ، يَسْبَحُ، يُغْدُو، تَضُمُّ، أَحْسَنَكَ، يَسْكُنُ، أَرَاكَ، تَرَانِي، تَرَى، يَدْعُو، أَوْلَدُ)؛ لدلالة أغلبها على الزمن الحالي، وليلد أيضا على تجدد النسبة بين المسند والمسند إليه¹⁶، وهذا ما نلاحظه في هذه الأفعال التي تدلّ على تجدد مشاعر الشاعر واستمرارها معه، وخاصة مع الأفعال (أَحْبَبَكَ، أَحْسَنَكَ، يَسْبَحُ، يَسْكُنُ، أَرَاكَ).

ب- الجميل الاسمية: وقد وظفها الشاعر في قصيدة (نور الوجود) اثنتي عشرة مرّة، منها خمس جمل منسوخة.

(1) - الجملة الاسمية غير المنسوخة: وردت في القصيدة على ثلاث هيئات هي:

- المبتدأ اسم إشارة + الخبر اسم مضاف.

وهذا مثل قول الشاعر¹⁷:

مشوقٌ أن أراك وأن تراني ترى هذا المشوقَ، وذاك عبيدي

- المبتدأ ضمير + الخبر اسم مضاف.

وهذا مثل قول الشاعر¹⁸:

أنا يا سيدي يا نور قلبي رهيئُ الحبّ من عهد عهيد

- المبتدأ اسم صريح + الخبر جملة فعلية فعلها مضارع.

وهذا مثل قول الشاعر¹⁹:

متى والحوضُ يدعو من دعاه رسول الله أولد من جديد؟؟

نلاحظ في البيتين الأول والثاني جملا اسمية خبرها اسم مضاف، ممّا يعطي هذا الأخير صفة الثبات وعدم تحدّد الحدث كما ذكر أهل اللغة²⁰، وهذا ما يظهر مع (عبيدي، رهيئُ) مع احتواء البيت الأول على خبر مفرد (مشوقٌ) أيضا، فالشوق والعيد والحبّ تتّصف بالدوام لرسول الله ﷺ، لذا فضّل الشاعر توظيف الخبر بهذه الطريقة لتبيين ثبات نسبة الخبر المفرد إلى المسند إليه، أمّا المثال الأخير فجعل الشاعر الخبر جملة فعلية فعلها مضارع لتبيين دلالة تحدّد الدعوة إلى حوض النبي ﷺ للشرب من يده الشريفة.

(2) - الجميل الاسمية المنسوخة: وردت على ثلاث هيئات أيضا هي:

- ناسخ + اسمه ضمير + خبره اسم

وهذا كما في قول الشاعر²¹:

فكُنْتُ الراحَةَ الكبرى سرورا سرى في الكون يعزف بالنشيد

- ناسخ + اسمه اسم صريح + خبره اسم
وهذا كما في قول الشاعر²²:

أحبك يا رسول الله حقاً وإن الله في حبي شهيدي

- ناسخ + اسمه ضمير + خبره جملة
وهذا في قول الشاعر²³:

عرفتك ما رأيته غير أيّ أحسك في كياني من بعيد

من خلال هذه الأمثلة يتضح أن الشاعر وظّف نواسخ للجمال الاسمية متمثلة في إضافة فعل الكون الدالّ على الزمن الماضي في المثال الأوّل؛ لإعطاء دلالة ماضية لتأصاف المسند إليه (الرسول ﷺ) بالمسند الموصوف (الراحة الكبرى) لتشمل المؤمنين به منذ زمن النبوة، كما استعمل ناسخين آخرين في المثالين الآخرين هما: (إنّ، أنّ) لتأكيد شهادة الله لحبه رسول الله ﷺ، ولتأكيد شعوره اتجاهه على الترتيب، وتجنّد الإشارة هنا إلى أنّ الشاعر قد استعمل (كان) في الزمن الماضي مرتين، و(إنّ، أنّ) في المثالين الآخرين، إضافة إلى ناسخ أخير أفاد النفي سيتمّ عرضه ضمن الجمل المنفية.

2- الجمل المثبتة والمنفية: فالجمل المثبتة هي الخالية من أدوات النفي المختلفة، أمّا المنفية فهي التي وظّفت فيها إحدى أدوات النفي، والتي قد تكون حرفاً؛ نحو: ما، لا، لم، لن...، أو فعلاً؛ نحو: ليس، أو اسماً؛ نحو: غير²⁴، وقد استعمل الشاعر كلا النوعين في هذه القصيدة بتفاوت ملاحظ بينهما.

أ- الجمل المثبتة: كان للجمال المثبتة حضور كبير في القصيدة، فجاءت جلّ تراكيبها مثبتة، ومن أمثلتها قول الشاعر²⁵:

أحبك حبّ ذي فضل وجودٍ وحبّ النفس للخلق الحميد
وأنت محمدُ الرحمتِ أحنّ من الأمّ الرؤوم على الوليد
نحوّت بمركب الإنسان لما تهاوى في الضلالة بالعبيد

فالشاعر يحاول التأكيد على محبته لرسول الله ﷺ من خلال الإكثار من الجمل المثبتة من ناحية ومن خلال تكرارها أيضا، خاصة توظيفه للفعل (أحبك) ومشتقاته عدة مرّات، لإبراز شعوره للمتلقّي، كما يُظهر بعض أسباب هذا الحب؛ فالرسول ﷺ صاحب فضلٍ عليه وعلى الناس لأنه هداهم إلى التوحيد وعبادة الله تعالى، فهو المنقذ الذي أنجى الناس من طريق الضلال إلى النور، وهو الرحيم بهم حتى أنّ رحمته تفوّقت على عطف الأمّ على صغيرها، واختار صيغة التفضيل (أفعل) معبرا عنها بـ(أخني) لتفوّقها العاطفي على مشاعر الأمّ الرؤوم، فالشاعر كان في سياق مدح ممّا جعل أغلب التراكيب التي وظّفها في القصيدة مثبتة؛ لإثبات مشاعره وإبراز الصفات الحميدة للرسول ﷺ والتعظيم من شأنه.

ب- **الجمل المنفية:** تُستخدم عادة للنقض والإنكار ولدفع ما يتردّد في ذهن المخاطب في مناسبات معيّنة²⁶، ولم يوظّف الشاعر في قصيدته (نور الوجود) هذا النوع من الجمل إلّا في أربعة مواضع هي²⁷:

أحبك ليس مقدارا وقدرًا أحبك سيّدي فوق الحدود
فلَمْ يصرفك من آذى وعادى ولا داهنت عادات الجدود
عرفتك ما رأيتك غير أُنّي أحسك في كياني من بعيد

فالشاعر هنا نفى في البيت الأوّل تقدير حبه رسول الله ﷺ بقيمة معيّنة، واستعمل النفي هنا ليُبعد ما قد يتردّد في ذهن المتلقّي من تحديده؛ صغيرا كان أم كبيرا، فالشاعر كان واضحا بأنّ حبه لا حدود له، والأمر نفسه في البيت الثاني الذي ورد فيه تركيبان منفيان؛ إذ نفى الشاعر في الأوّل قدرة الكفّار على إبعاد الرسول ﷺ عن تبليغ الدعوة رغم معاداتهم والقيام بشقّ أنواع الأذى، وفي الثاني نفى قيام الرسول ﷺ بمداينة عادات أجداده، وتعني إظهار خلاف ما يُضمر اتجاهها²⁸، فالشاعر أراد بالنفي هنا إبعاد كلّ شائبة يمكن أن يتعلّل بها الأعداء، وفي البيت الأخير عبّر الشاعر عن حبه الكبير لرسول

الله ﷻ رغم عدم رؤيته له، فمعرفة به المعنوية كانت كافية رغم اعتياد الناس أن يكون حبهم لمن عاشروه ورأوه.

3- الجمل الخبرية والإنشائية: فالخبرية ما تحتل الصدق والكذب لذاتها، والمراد بصدق الخبر مُطابقته للواقع، والمراد بكذبه عدم مطابقته له²⁹، أما الجمل الإنشائية فهي التي لا تحتل الصدق والكذب لذاتها، ولا يصح أن يقال لقائلها إنه صادق أو كاذب؛ لعدم تحقق مدلولها في الخارج وتوقفه على النطق بها³⁰، وقد وظّف الشاعر في قصيدته هذين النوعين من الجمل كما سيتبيّن في ما يلي:

أ- الجمل الخبرية: سادت الجمل الخبرية في قصيدة (نور الوجود)؛ لمناسبتها سرد الأحداث وذكر المناقب والإخبار عن المشاعر، ومن أمثلتها هذه الأبيات من قول الشاعر³¹:

بسطت نذاك بالإحسان حتى أفضت به على أهل الصُّدود
وأجزلت العطاء ببحرٍ وُدٍّ حبوت به الصحابة من عهود
عقدت على محبتك الحنايا فذابت في هواك إلى الوريد

وظّف الشاعر في هذه الأبيات تراكيب خبرية، عرض خلالها بعض أفعال الرسول ﷺ (بسطت نذاك بالإحسان، أفضت به على أهل الصُّدود، أجزلت العطاء، حبوت به الصحابة)، كما وظّف في المثال الأخير تراكيب خبرية أيضاً تعبّر عن مشاعره (عقدت على محبتك الحنايا، ذابت في هواك)، وأغلب التراكيب الخبرية الموجودة في هذه القصيدة توزّعت بين سرد الأحداث وذكر المناقب والتعبير عن الشوق للرسول ﷺ.

ب- الجمل الإنشائية: لم يوظّف الشاعر إلا نوعين من التراكيب الإنشائية متمثلة في النداء والاستفهام.

(1) - النداء: هو "طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب «أنادي» المنقول من الخبر إلى الإنشاء، وأدواته ثمان: الهمزة، أي، يا، آي، أيّا هيا، وا"³²،

وقد أكثر الشاعر من توظيف النداء في قصيدة (نور الوجود) حتى بلغ أربع عشرة مرة: (رسول الله، يا نُورَ الوجود، يا مفتاح جنّات الخلود، سيّدي، محمّد، يا نسيماً، يا ذوّب الشّدَى، أبا الإنعام، يا كنفَ اليتامى، يا نُورَ الوجود، يا رسول الله، يا سيّدي، يا نور قلبي، رسول الله)، بحذف الأداة تارة وبذكرها تارة أخرى، وهذا تعبير عن شوق الشاعر للمنادى رسول الله ﷺ وتعلّقه العاطفي به، ومن أمثله قوله³³:

رسول الله يا نُورَ الوجود ويا مفتاح جنّات الخلود

محمّد يا نسيماً من عبير ويا ذوّب الشّدَى ضَوْعَ الوُورِدِ

فالشاعر وظّف في هذين البيتين تركيب المنادى المضاف عدّة مرّات، وكان هذا النوع من المنادى السائد في القصيدة، وقد تنوّعت ألفاظه لتخصيص دلالة النداء في معنى ألفاظه، وهذا التنوّع الإيجابي جاء لإعطاء أكثر من وصف حسنٍ للشخص المنادى مع أنّه نفسه، أمّا المثال الثاني فاستعمل فيه المنادى العَلَم، وذكره مباشرة؛ ممّا يوحي بقربه العاطفي من الشاعر، كما استعمل للمنادى كلمة (نسيماً) للدلالة على الهدوء والرائحة الطيّبة، فوظّف صيغة النكرة غير المقصودة -وإن كان السياق قد بيّن المنادى- لإعطاء معنى عامّاً ليصل النسيم الطيّب إلى النّاس جميعاً.

(2) - الاستفهام: هو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية، وهي: الهمزة، هل، ما، متى، أيان، كيف، أين، أتيّ، وكم، وأيّ"³⁴، وقد وظّف الشاعر الاستفهام ب(متى والهمزة المحذوفة) في البيت الأخير من القصيدة فقال³⁵:

متى والحوض يدعو من دعاه رسول الله أولد من جديد؟؟

ورد الاستفهام مرّتين في البيت الأخير من القصيدة في التركيبين: (متى...؟ / أولد من جديد؟) فالاستفهام ب(متى) ليس سؤالاً عادياً، بل هو تمّن من الشاعر لرؤية رسول الله ﷺ ودعوته إلى حوضه في الآخرة، والتساؤل في آخر البيت يوحي بالإيمان العميق لدى الشاعر والتطهّر من الذنوب ليكون من الفائزين يوم القيامة.

ثانيا: العدول التركيبي:

وضع اللغويون لعناصر الجملة رُتَبًا عُدَّت أصل التركيب؛ ففي الجملة الفعلية: الفعل - الفاعل ثمّ المتمّمات التي يمكن إضافتها، وفي الجملة الاسمية: المبتدأ - الخبر ثمّ المتعلّقات، وأيّ تغيير في ترتيب عناصرها أو حذفها يعدّ عدولا تركيبيا عن الأصل، وقد وردت في قصيدة (نور الوجود) عدّة حالات لتقديم بعض العناصر المشكّلة لجملة أو حذفها، كما سيّتين في ما يلي:

1- التقديم والتأخير: ورد التقديم والتأخير في الجمل الفعلية أكثر من الجمل الاسمية في القصيدة، وفي ما يلي تفصيل ذلك:

أ- **التقديم والتأخير في الجملة الفعلية:** ورد في قصيدة (نور الوجود) تقديم لعناصر حقّها التأخير في مواضع عديدة من القصيدة، وقد تمثّلت في:

(1) - تقديم المفعول به: ورد تقديم المفعول به على الفاعل في القصيدة مرتين في قول الشاعر³⁶:

وأرسلك الإله بشيرَ خَيْرٍ بآيات النجاة من الوعيد

فلَمْ يصرفْكَ مَنْ آذَى وعادى ولا داهنت عادات الجدود

في هذين المثالين ورد تقديم للمفعول به (الكاف) في (أرسلك، يصرفك) على الفاعل (الإله، مَنْ) على الترتيب، وهذا النوع من التقديم واجب³⁷؛ لأنّ المفعول به ضميرٌ متّصل في كليهما، أمّا الفاعل فهو اسم ظاهر في المثال الأوّل، وهو اسم موصول في المثال الثاني.

(2) - تقديم الجارّ والمجرور: ورد تقديم الجارّ والمجرور في هذه القصيدة ستّ مرّات، تنوّعت بين تقديمه على المفعول به، وعلى الحال، وعلى الفعل والفاعل معًا، ومن أمثلتها على الترتيب قول الشاعر³⁸:

عَقَدْتُ على محبّتك الحنايا فذابتْ في هَوَاكَ إلى الوريد

فَكُنْتُ الراحةَ الكبرى سرورًا سرى في الكون يعزِفُ بالنشيد

وبالوحي ارتَفَقَتْ فحُزَّتْ حفظاً ومن عطفيك أجزل بالمدود

ورد في المثال الأول تقديم للجارّ والمجرور (على محبّتك) على المفعول به (الحنايا)، لتخصيص المحبة في أعماق قلب الشاعر من ناحية، وللمحافظة على الجرس الموسيقي لشعره من ناحية أخرى، والمعنى يختلف قليلاً لو ذكر الترتيب الأصلي الذي يخبر بالمحبة دون تخصيصها، وأمّا المثال الثاني فقدّم الجارّ والمجرور (في الكون) على جملة الحال الواقعة في الأصل بعد الضمير المستتر (هو)، للتركيز على سعة المكان (الكون) والاهتمام به، ومن هنا يظهر المعنى الذي يهدف إليه الشاعر، وأمّا المثال الثالث فقد تمّ تقديم الجارّ والمجرور (بالوحي) على الفعل والفاعل هنا تعظيماً لشأن الوحي وتشريفاً للرسول ﷺ بمرافقة الوحي له في حياته، والأمر نفسه مع الجملة الأخيرة التي قدّم فيها الشاعر الجارّ والمجرور لإبراز مصدر الرحمة التي نتج عنها خير كثير.

(3) - التقديم والتأخير لتركيب النداء: الأصل أن يتقدّم تركيب النداء على التراكيب الأخرى، لأنه ينبّه المخاطب للإقبال على المتكلم، ولكنه قد يوضع في مواضع أخرى من الكلام لتأدية أغراض معينة، وهذا ما وظّفه الشاعر في قصيدته (نور الوجود)؛ إذ جعل تركيب النداء جملة اعتراضية في جملة فعلية مرّتين، فقال³⁹:

أحبّك ليس مقداراً وقدرًا أحبك سيدي فوق الحدود

أحبك يا رسول الله حقًا وإنّ الله في حيّ شهيدي

فالشاعر في هذين المثالين وضع تركيب النداء: ((يا سيدي، يا رسول الله)) كجملتين اعتراضيتين؛ للفت انتباه المتلقّي إلى المنادى وإظهار الاهتمام به، فهو محور الكلام في هذين المثالين، فالشاعر يعبرّ هنا عن حبّه لرسول الله ﷺ وأراد إظهار اهتمامه به ولفت انتباه متلقّي شعره إليه لتبيين مكانته عنده.

ب- التقديم والتأخير في الجملة الاسمية: ورد في قصيدة (نور الوجود) تقديم لبعض العناصر في الجملة الاسمية أو تأخيرها، وقد تمثّلت في ما يلي:

(1) - تقديم الجار والمجرور: ورد تقديمه في القصيدة ثلاث مرّات؛ على المبتدأ والخبر، وعلى خبر كان، وعلى خبر إنّ، تمثّلت في قول الشاعر⁴⁰:

عليك الله صلّى، ثمّ صلّى وسلّم ما سرى نجم السعود
فكُنْتُ على المدى عفاً ندياً حلیم الصدر ذا قلب ودود
أحبّك يا رسول الله حقّاً وإنّ الله في حيّ شهيد

فالشاعر قدّم الجار والمجرور (عليك) على جملة (الله صلّى) في المثال الأوّل، وأصل التركيب الاسمي (الله صلّى عليك)، وهذا لتخصيصه بالصلاة والسلام عليه تعظيماً لشأنه، والمقصود بالصلاة هنا الذكر الحسّن والثناء عليه⁴¹، وأمّا المثال الثاني فقدّم (على المدى) على خبر (كان) لإظهار دوام اتّصاف الرسول ﷺ بالعفة واللين والحلم في معاملته مع الناس، وأمّا المثال الأخير فقد تمّ تقديم الجار والمجرور (في حيّ) على خبر (إنّ) وهذا لتوضيح طبيعة الشهادة وتوكيدها، فالتقديم هنا حدّد طبيعة الشهادة التي أرادها الشاعر.

(2) - التقديم والتأخير لتركيب النداء: وظّف الشاعر في قصيدته تركيب النداء بين المبتدأ والخبر مرّة واحدة في قوله⁴²:

أنا يا سيدي يا نور قلبي رهينُ الحبّ من عهدٍ عَهِيد

فالشاعر في هذا المثال وضع تركيبي النداء: ((يا سيدي، يا نور قلبي)) متتابعين معترضين بين المبتدأ (أنا) والخبر (رهينُ الحبّ) لشدّ الانتباه إلى المنادى من جهة ولتأكيد اهتمامه به بتكراره النداء مرّتين، ولو اتّبع التركيب الأصليّ لقال: (يا سيدي، يا نور قلبي، أنا رهينُ الحبّ من عهدٍ عَهِيد).

2- الحذف: ذكر عبد القاهر الجرجاني كلاماً دقيقاً عن الحذف فقال: "هو باب دقيقُ المسلك، لطيفُ المآخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسّخر، فإنك ترى به تركّ الذّكر، أفصح من الذّكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، ونجّذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبَيّن"⁴³، فمن يعرف أسرار اللغة يصيب مقاصد

الحذف فيها، وخاصة في الخطابات والنصوص الإبداعية كالشعر، وقد وظّف الشاعر سعد مردّف الجزائري الحذف في قصيدته (نور الوجود) في مواضع عدّة، يمكن توضيحها في ما يلي:

أ- الحذف في الجملة الفعلية: ورد الحذف في القصيدة في بعض المواضع تمثّلت في ما يلي:

(1)- حذف الفعل ومتعلّقاته: ورد حذف الفعل ومتعلّقاته في قصيدة (نور الوجود) في قول الشاعر⁴⁴:

متى والحوض يدعو من دعاه رسول الله أولد من جديد؟؟
وظّف الشاعر حذف الفعل ومتعلّقاته بعد الاستفهام ب(متى)، وتقدير الكلام: متى (أراك؟) لأنّ الشاعر قد عبّر في سياق الكلام عن شوقه إلى رؤية الرسول ﷺ، وقد تمّ هنا حذف للفعل والفاعل والمفعول به للإيجاز من جهة، ولدلالة السياق عليه من جهة أخرى.

(2)- حذف المفعول به: ورد حذف المفعول به في موضعين من القصيدة في قول الشاعر⁴⁵:

فلَمْ يصرفك من آذى وعادى ولا داهنت عادات الجدود
من خلال هذا البيت نلاحظ أن الشاعر ذكر الفعلين: (آذى- عادى) دون مفعولين، رغم كونهما متعدّين، والتركيب الأصلي: (آذاك، عاداك)، ويرجع هذا للمحافظة على وزن البيت، وإكراما للرسول ﷺ كي لا يقع عليه الفعل مباشرة، فيفهم الكلام من المعنى دون ذكره صراحة.

(3)- حذف أداة النداء: حذف الشاعر أداة النداء في خمسة مواضع من القصيدة وردت في التراكيب الآتية: (رسولَ الله، سيّدي، محمد، أبا الإنعام، رسولَ الله)، وقد تمّ التمثيل

لها عند الكلام عن النداء، وهذا راجع في الغالب إلى إحساس الشاعر بقربه العاطفي من الرسول ﷺ وتعظيما لشأنه، إضافة إلى المحافظة على الجرس الموسيقي لشعره.

ب- الحذف في الجملة الاسمية: اقتصر الحذف على المبتدأ في القصيدة، وقد ورد في قول الشاعر⁴⁶:

شفيفُ الرحمة الكبرى، وفيضٌ من الإحساس والرفق المديد
مشوقٌ أن أراكَ وأن تراني ترى هذا المشوق، وذاك عيدي

حذف الشاعر في هذين البيتين المبتدأ، وذكر الخبر مباشرة، وأصل التراكيب على التوالي: (هو شفيف...، وهو فيض...، أنا مشوق)، وقد بدأ بالخبر للاهتمام به، فهو المقصود في الأمثلة الثلاثة الماضية؛ فقد استعار الشاعر كلمة (شفيف) لإظهار زيادة الرحمة عند الرسول ﷺ، واستخدم كلمة (فيض) للمبالغة والكثرة، وأما المثال الأخير فبدأ بـ(مشوق) للتركيز عليه وإظهار تعلقه بالرسول ﷺ، ولو قال (أنا مشوق) لكان إخبارا عاديا عن شوقه.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة لقصيدة (نور الوجود) وتحليلها برزت عدّة ظواهر تركيبية متنوعة فغلبت البنى التركيبية الفعلية على الاسمية في القصيدة ووظّف فيها الشاعر الفعل الماضي بكثرة؛ لأنه كان يسرد الأحداث ويذكر المناقب، أما توظيفه الفعل المضارع فكان غالبا تعبيرا عن مشاعره اتجاه ممدوحه الرسول ﷺ، ولم يوظّف فعل الأمر إطلاقا تأدبا معه، وقد استعمل للتعبير عن هذا الجمل الخبرية المثبتة في الغالب؛ فناسب ذلك الغرض العام من القصيدة، وقد أضاف الشاعر قيودا تركيبية إلى الجمل المشكّلة لقصيدته، ونوع في استخدامها ما أثرى دلالات تراكيبها المتنوعة، كما أكثر من تراكيب النداء في القصيدة لشدّ الانتباه إلى المنادى؛ فهو محور القصيدة ومركزها، وقد طغى المنادى المضاف لإعطاء الممدوح دلالة إضافية متمثلة في معنى التركيب الإضافي، وقد لجأ الشاعر إلى العدول عن

التركيب الأصلية فقدّم الكثير من التراكيب عن مواضعها أو آخرها، وخاصة تركيب الجار والجرور لتعلّقه بالجملة كافّة، كما لجأ إلى حذف بعض الكلمات والتراكيب تأدية لأغراض معيّنة، فأعطت البنى التركيبية السابقة نصّه الشعري أبعادا جمالية ودلالية عديدة.

الهوامش:

- ¹ الشاعر سعد مردف أستاذ جامعيّ بجامعة الوادي، شارك في العديد من الملتقيات والأيام الدراسية وله مقالات في الشعر ونقده، من مؤلفاته : الطائرون إلى الجنة، مواكب البوح، أيام معلومات، ديوان الروح، قصص مدرسية.
- ² هذه القصيدة نظمها الشاعر للتعبير عن حبّه للرسول ﷺ، وتتكوّن من اثنين وثلاثين بيتا، وهي القصيدة الثانية في ديوان الروح.
- ³ ينظر: فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر، عمان، ط2، 2007، ص157.
- ⁴ ينظر: محمد إبراهيم عبادة، الجملة العربية(مكوناتها، أنواعها، تحليلها)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط4، 2007 ص144.
- ⁵ ينظر: فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص157.
- ⁶ ينظر: محمود أحمد نخلة، مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1988، ص121.
- ⁷ ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، دط، 1957، ج1، ص197.
- ⁸ ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 2003، ج1، ص14.
- ⁹ ينظر: منجي العمري، القيد التركيبي في الجملة العربية، الدر التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2015، ص18.
- ¹⁰ سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، دار المجّدّد، سطيف، دط، 2022، ص6.
- ¹¹ المصدر نفسه، ص6.
- ¹² ينظر: أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ج3، ص2378.
- ¹³ سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، ص5.
- ¹⁴ المصدر نفسه، ص5.
- ¹⁵ المصدر نفسه، ص7.
- ¹⁶ ينظر: أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب، القاهرة، دط، 1998، ص153.
- ¹⁷ سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، ص7.
- ¹⁸ المصدر نفسه، ص7.
- ¹⁹ المصدر نفسه، ص7.

- 20 ينظر: أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص153.
- 21 سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، ص6.
- 22 المصدر نفسه، ص7.
- 23 المصدر نفسه، ص7.
- 24 ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، 1974، ج1، ص450.
- 25 سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، ص5-6.
- 26 ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد، بيروت، ط2، 1986، ص246.
- 27 سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، ص5-7.
- 28 ينظر: ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، در صادر، بيروت، ط3، 1993، ج13، ص162.
- 29 السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ضبط: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، دط، ص55.
- 30 ينظر: عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2001، ص13.
- 31 سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، ص5-7.
- 32 السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص89.
- 33 سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، ص5.
- 34 السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص78.
- 35 سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، ص7.
- 36 المصدر نفسه، ص6.
- 37 ينظر: فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، ج2، ص56.
- 38 سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، ص6-7.
- 39 المصدر نفسه، ص5، 7.
- 40 المصدر نفسه، ص5-7.
- 41 ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1984، ج2، ص68.
- 42 سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، ص7.
- 43 عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992، ص146.
- 44 سعد مردف الجزائري، ديوان الروح، ص7.
- 45 المصدر نفسه، ص6.
- 46 المصدر نفسه، ص5، 7.